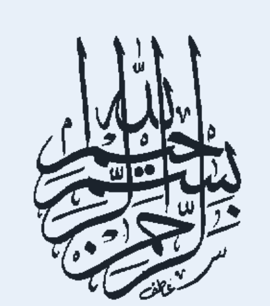

الإعجاز الغيبي
١



موسوعة

الإعجاز العلمي للصغار

الإعجاز الغيبي



خادم السنة

يوسف الحاج أحمد

مكتبة ابن حجر

الطَّبْعَةُ الأُولَى

١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م

ـ الرقم الاصطلاحي/٧٥٣١٦/٤/٢٠٠٣م.

ـ الموضوع: في الإعجاز العلمي

ـ العنوان: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنَّة المطهرة، للصغار.

ـ التأليف: خادم السنَّة المطهرة يوسف الحاج أحمد.

ـ الصف التصويري: ابن حجر للطباعة والنشر والتوزيع، هاتف: ٢٢٣٣٦٩١.

ـ عدد الصفحات: ٤٨ صفحة.

قياس الصفحة: ١٧× ٢٥.

ـ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة.

توزيع: مكتبة ابن حجر بدمشق. الحلبوني، بجانب المؤسسة العسكرية.

هاتف: ٢٢٣٣٦٩١

جوال: ٠٩٤٦٧٤٣٦٩



طباعة نشر توزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمَةُ

إن الحمدَ للهِ تعَالىٰ نحمدُهُ، ونستعينُهُ ونستغفِرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنَا ومن سيِّئات أعمَالِنَا، من يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ومن يُضلل فلا هَادي لَهُ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّداً عبدُهُ وَرَسُولُه، أرسلَهُ بالهدىٰ وَدينِ الحقِّ ليظهِرَهُ علىٰ الدِّينِ كُلِّه ولَو كَرِهَ الكَافرونَ، وَبَعْدُ:

فإنِّي قد اخترت لك يا بنيَّ أهمَّ المواضيع التي تَتَحدَّث عن الاكتشافات المدهشة المثيرة، التي تزيدُ إيمانَكَ، وتوسِّعُ فِكْرَكَ، وتُنيرُ دربَكَ.

ولقد صِغْتُهَا لَكَ بإسلوبٍ مُخْتَصَر سَهْل جداً كي تَبْقَىٰ في ذَاكِرَتِكَ كُلَّما كَبُرْتَ.. كَبُرَت مَعَكَ هَذِهِ الأفكَار، واتَّضحت لكَ معالمها..

واعلم يا بنيَّ أنَّ هذا العلم ليس هو نهاية المَطَاف أو الاكتِشَاف.. بَل ستَتْلُوهُ اكتِشَافَاتٌ واكتِشَافَاتٌ أثْبَتَت وتُثْبِتُ للنَّاس قاطبةً أنَّه كلامُ الله تعالىٰ: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وأنَّه أيضاً: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣-٤].

۞ وهذه الموسوعة التي بين يديك اشتملت علىٰ مواضيع جميلة ومثيرة، جعلت كلَّ موضوع منها في جزءٍ خاصٍّ به. وهذه الأجزاء تتحدث عن:

١ـ الجزء الأول (الإعجاز الغيبي)

٢ـ الجزء الثاني (الإعجازُ في الإنسَان)

٣ـ الجزء الثالث (الإعجازُ في الأرض)

٤ـ الجزء الرابع (الإعجاز في البحار)

٥ـ الجزء الخامس (الإعجاز في الفَلَك)

٦ـ الجزء السادس (الإعجازُ في الحيوان)

٧ـ الجزء السابع (الإعجازُ في النبات)

٧ـ الجزء الثامن (الإعجازُ في الطبِّ)

فهذه أجزاءٌ سبعةٌ زوَّدتها بالصُّور الملونَّـة الـتي لا تنفـكُّ عن مواضيعها، وهي جزءٌ منـها.. سـائلاً اللهَ تعـالىٰ أن يجعـلَ فيما جمَعتُه وكتَبته خيرَ تذكرةٍ لكَ ولإخوانـكَ.. وبدايـةً طيِّبَـةً موفَّقةً لحياتِكَ.. وثمرةً نضيجةً لإيمَانِكَ..

وأن يجعـلَ عملـي هَـذا خالصـاً لوجـه الله الكريـم، وأن ينفعك به وسائرَ أطفال المسلمينَ مِن عرب وعجم إنَّهُ علىٰ ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.. وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله ربِّ العالمين.. وصلَّىٰ اللهُ علىٰ سيِّدنا محمَّدٍ وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

يوم الأربعاء ٣٠ محرم/١٤٢٤ هـ
٢ نيسان/٢٠٠٣ م.

وكتبه
خادم السنَّة:
يوسف الحاج أحمد

❊ ❊ ❊


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدِّمة في

أهميَّةُ العلمِ في حيَاةِ المسلِم

اعلم يابنيَّ أنَّ العلمَ في الإسلام عبَادةٌ..

والعبادةُ لغةً: الخضوعُ، ومعناهَا وغرضُها هي الخضوعُ للهِ تَعَالىٰ فيمَا يأمُرُ به وينْهَىٰ عَنْهُ.

والعلمُ: هو الكشفُ عن الشَّيء لمعرفة حَقِيقَتِهِ.

والخضوعُ للهِ تَعَالىٰ والقِيَام بعبَادَتِهِ يوجبُ مَعرفَتَهُ، ومَعْرِفَتُهُ بالرُّؤيَةِ مُحَالٌ، لأنَّه يَرىٰ ولا يُرىٰ فهُو ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]. ومحالٌ أيضاً أن يكونَ له مثالٌ قال تَعَالىٰ: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]. وأن يكون له شريكٌ ﴿لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]. فكيف يمكنُ أن يُعْرَفَ لِيُعبَدَ وَيُطَاع؟

إنَّـها مهمَّـةُ الإنســان في الأرضِ، وقَـد زوَّدَهُ اللهُ تَعَـالىٰ بالعَقْلِ والحوَّاسِ للكشفِ عَنه بالتَّأمل.. وفي ظواهِرِ الكَـونِ.. والتَّعَرُّف عليهِ بآثَارهِ وَبديعِ صُنْعِهِ وَعَظيم آيَاتِهِ. أولئكَ الَّذِيـنَ يكْشِفُونَ هُمُ العُلَمَاءُ. قَالَ تَعَـالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُون﴾ [الزمر: من الآية ٩].

وقد صوَّر القرآنُ الكريمُ مظـاهرَ الكَونِ وجَـذَبَ الأفـهامَ إلىٰ التَّأمُّل في بديع صُنْعِها، فَعَرَضَ صورةَ الأرضِ ومَـا عَلَيـهَا من جبالٍ ومَا يَجْرِي فيها مِن أنْهَار بقولهِ تَعَالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الأَرْضِ رَوَاسِـيَ أَنْ تَمِيـدَ بِكُـمْ وَأَنْـهَاراً وَسُـبُلاً لَعَلَّكُـمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].

وفي قولـهِ تَعَـالىٰ: ﴿أَلَـمْ نَجْعَـلِ الأَرْضَ مِـهَاداً ۝ وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾. [النبأ: ٦ـ٧].

وعرض صورةَ البَحْر وَمَا سَخَّرَ للإنسانِ مِـن الانتِفَـاع بِـهِ بقولهِ تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّـذِي سَخَّرَ الْبَحْـرَ لِتَـأْكُلُوا مِنْـهُ لَحْمـاً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَىٰ الْفُلْكَ مَوَاخِـرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٤].

وبقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر: ١٢].

وعرض صورةَ الظَّواهِرِ الخَارقةِ في البحارِ بقولِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ البحرين هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً﴾ [الفرقان: ٥٣].

وَعَرَضَ صُورَةَ الظَّواهِرِ الطَّبيعيةِ في السَّماءِ وعَلاقتِها بِالأَرْضِ بِقَولِهِ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤].

وَعَرَضَ صُورَةَ السَّماءِ وَمَا في فَضَائِهَا مِن كَواكِبَ وَنُجُوم بقولِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾. [الحجر: ١٦]. وَجَعَلَهَا هِدَايَةً للنَّاس في قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾. [الأنعام: ٧].

وعرضَ صورةَ الشَّمسِ والقمَـرِ وحَـدَّدَ علاقتَـهُمَا بِالنِّسبَةِ للأرضِ وَحَيَـاةِ الإنسـانِ في قولـهِ تعَـالى: ﴿هُوَ الَّـذِي جَعَـلَ الشَّـمْسَ ضِيَـاءً وَالْقَمَـرَ نُـوراً وَقَـدَّرَهُ مَنَـازِلَ لِتَعْلَمُـوا عَـدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾. [يونس: ٥].

وعَرَضَ صُوَرَ المَاءِ وَالنَّبـاتِ وارتبَاطَـهُمَا بِحَيَـاةِ الإنسـانِ والحيوانِ في قَولِهِ تَعَالى: ﴿أَوَلَمْ يَـرَوْا أَنَّـا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَـى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُـهُمْ وَأَنْفُسُـهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ﴾. [السجدة: ٢٧].

ثُمَّ عَرَضَ أنواعَ الثِّمارِ في قولِهِ تعَالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالـزَّرْعَ مُخْتَلِفـاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَـرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام: ١٤١].

ثـم عـرضَ صـورةَ الحيـاةِ الإنسـانيَّةِ وأطوارَهَـا في قولـهِ تَعَـالى: ﴿وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإِنْسَـانَ مِـنْ سُـلالَةٍ مِـنْ طِـينٍ ثُـمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِـي قَـرَارٍ مَكِـينٍ ۝ ثُـمَّ خَلَقْنَـا النُّطْفَـةَ عَلَقَـةً فَخَلَقْنَـا الْعَلَقَـةَ مُضْغَـةً فَخَلَقْنَـا الْمُضْغَـةَ عِظَامـاً فَكَسَـوْنَا

الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ـ١٤].

وعَرَضَ صُورةً للصِّحةِ في النَّهي عَن الإسرافِ في الأَكْلِ والشُّربِ في قَولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١]. لأنَّ الاعتدالَ فيهمَا مِن أسبابِ الصِّحَةِ والإسرافِ فيهِمَا مِن أسبابِ المرضِ، فَوَضَعَ بِذَلِكَ قَاعِدَةَ عِلْم الطبِّ.

ثمَّ عَرَضَ القرآنُ الكريمُ صوراً جامِعَةً لما تَقَدَّم مِن آياتٍ تَقَرَّرت عَلىٰ أَسَاسِهَا قَوَاعِد العِلْم الإيمَانِي في قولِهِ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. [البقرة: ١٦٤].

هَذَا هُوَ القرآنُ الكريمُ يا بُنَيَّ، إنَّه هُوَ مَصْدَرُ العِلْمِ بِالحيَاةِ بِجَمِيع صُورِهَا وبالكونِ بِجَميع مَظَاهِرِهِ وفيهِ القَوَاعِدُ المُنَظِّمَة لحياةِ الفَرْدِ والجماعَةِ وما يَترَتَّبُ عَلَيْهَا مِن أحكَام لِمُجْتَمَع

سَليم يَسُودُ فيهِ الأمنُ والعَدْلُ وَيَشيعُ فيهِ الخيرُ والإحسَانُ.

وقد صِيْغَت آياتُهُ ببيانٍ محكَمٍ، فيـهِ سِحْرُ النَّغَم لِجَذْبِ الأسماعِ إليهِ حَتَّىٰ يستقرَّ في الضَّمير الإنْسَانِيِّ فيكون هَادِياً له، ويَسْتَرْشِد بهِ العقلُ فيكون لَهُ نوراً يكشفُ بهِ عن أَسْرَار الحياةِ والكونِ، ويَصِل بهِ إلىٰ مَعْرفَةِ اللهِ بِعِلْمٍ مَبْنِيٍّ علىٰ الإيمانِ.

مِنْ أجلِ ذَلِكَ كَانَ عَلىٰ المُتَعَلِّم، لكَي يصبحَ عالماً، أَنْ يَفْهَمَ القرآنَ بالتَّفْسِيرِ مُسْتَعيناً بِعُلَمَاءِ اللُّغَةِ والنَّحوِ، وَأَنْ يَحْكُمَ فَهْمَهُ بالمَنْطِقِ، وَأن يَعْلَمَ أحكَامَهُ بِالفِقْهِ..وأن يكْشِفَ عَن عَالم السَّماءِ ومَا فيهِ مِن كواكِبَ بِالفَلَكِ، وَعَن عَالَم الأرضِ وَمَا فِيهِ مِن بِحَارٍ وأَنْهَار وجبَالٍ وسُهُولٍ وَحَيَوانٍ وَنَبَاتٍ بِعِلْم الطَّبيعَةِ، وأن يَسِيْرَ في الأرضِ وَيكْشِفَ عَن مَسَالِكِهَا ومَعَالِمِهَا بِعِلْم الجغْرَافية، وأن يَتَقَصَّىٰ أخبارَ المَاضِيْنَ وَيَتَتَبَّعَ مسيرَةَ أَحْدَاثِهِم بِعِلْم التَّاريخ وأَنْ يَعْرِفَ عَوَامِلَ الصِّحَّةِ وأَعْرَاضَ المَرَضِ وَعِلاجَهَا بِالطبِّ، إلىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِن العُلُوم المُتَّصِلَةِ بِهَا أو المُتَفَرِّعَةِ عنْهَا، وَبِذَلِكَ كَانَ القُرْآنُ هُو القوَّة الدَّافِعَةُ لِطَلَبِ العِلْم.

مَفْهُومِ الإِعجَازِ

« العَجْزُ » لغةً نَقيض الحَزْمِ، والتَّعجز هُوَ التَّثبيط، ومصدر أَعْجَزَ هُو الإعجازُ، ومنه اشتُقَّت لَفْظَةُ « مُعْجِـزَة » وهِـي وَاحـدةُ مُعْجِزَاتِ الأَنْبِيَاءِ الَّتي تُؤَيِّدُ نُبُوَّتَهُم عَلَيْهِم السَّلام.

ولَم تَرِد في القرآنِ الكَرِيم لفظَةُ « إعجاز » أو « مُعْجِـزَة » كمَا لم يَسْتَعْمِلْهَا المؤلفونَ قَدِيماً، بَل استَعْمَلُوا مكانَهَا « آيَةً » أو « كَرَامةً » حتَّـىٰ جـاءَ الواسِطِيُّ وَاخْتَـارَ « إعجَـازَ القُـرآنِ » عنواناً لِكِتَابِهِ المَعْرُوف..

شُرُوطُ تَسْمِيَةِ المعجِزَةِ:

- أن يكونَ الحادِثُ مِمَّـا لا يَسْتَطِيعُهُ الإنسـانُ، بَـل اللهُ جَلَّ جَلالُهُ فَقَط يَقْدِرُ عَلَيْهِ.
- أن يكونَ هَذَا الحَادِثُ خَارجاً عَن قَوَانِيْنِ الطَّبِيْعَةِ.
- أن يُنَبِّئ عنهُ الحكيمُ، وَيَأْتِي مُوَافِقاً لِمَا قَالَ.

واعلَم يَا بنيَّ أنَّ كُلَّ نَبِيٍّ كانَ يَحْمِلُ بَيْـنَ يَدَيْـهِ إلىٰ قَوْمِـهِ آيَةً معجِزَةً يَلْقَاهُم بِهَا مُتَحَدِّياً علىٰ صُورَةٍ لَم يَسْبِقْهُ إليهَا أحَدٌ مِن قَبْلُ، بل كانَ البعـضُ يَحْمِـلُ أَكْثَرَ مِـن آيَـةٍ لتكُـونَ دَلِيْلَـهُ

القَطْعِي علىٰ أنَّهُ مُرْسَلٌ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ.. فإنْ كفَرُوا بِها وَجَحَدُوها فَلْيَأْتُوا بِمِثْلِهَا، وَهَيْهَات هَيْهَات..

وكانت المُعجزَةُ الَّتي تُعطىٰ لأحَدِ الأنبياءِ، كَانَت خَاصَّةً في قَوْمِهِ، لا تَتَعَدَّىٰ إلىٰ مَن بَعْده مِنَ الرُّسُل، فموسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام كانَت مُعْجِزَتُهُ العَصَا الَّتي يُلْقِيهَا فَتَتَحَوَّل إلىٰ حَيَّةٍ تَسْعَىٰ.. ولَمَّا مَاتَ انْقَضَت المُعْجِزَةُ.. وَعِيْسَىٰ عليه السَّلامُ كَانَ يُبْرِئُ الأكمَهَ والأبْرَصَ وَيُحْيِي المَوْتَىٰ بِإذْنِ اللهِ تَعَالىٰ، فَلَمَّا رَفَعَهُ اللهُ إليهِ انْقَضَت المُعْجِزَة..

أما سيدُنا محمَّد ﷺ فقَد تَعَدَّت معجزتُهُ إلىٰ يَوْم القِيَامَةِ، كَامِلَةً مَحْفُوظَةً بِأمْرٍ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ، فَمُعْجِزَتُهُ القُرْآنُ.. كِتَابُ اللهِ الخَالِدِ، وكُلّ مَن آتَىٰ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ بوسْعِهِ رُؤْيَته وَقِرَاءته.. فَالحَمْدُ للهِ الَّذي فَضَّلَنَا علىٰ كَثِيْرٍ مِن خَلْقِهِ..

* * *

الإعجَازُ الغَيبيُّ

اعلم يابنيَّ ـ وفَّقَنِـي اللهُ وإيَّـاكَ لِمَـا يُحِـبُّ وَيَرْضَـىٰ ـ أنَّ القُرْآنَ الكريمَ قَد أثْبَتَ إعجازَهُ الغيبي بكلِّ جدَارَةٍ، ولا أبـالِغُ إنْ قُلتُ إنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الإعجَازِ هُو مِن أكبَرِ أنواع الإعْجَـازِ الَّتِي حَمَلَهَا القرآنُ، لأنَّهُ يَسْتَحيلُ أن يَعْرِفَ البَشَرُ مَا سَيَحْدُثُ في المُسْتَقْبَل، لأنَّ هَذِهِ خُصوصيَّة مِن خُصوصِيَّاتِ اللهِ تَعَالىٰ..

قَـالَ تَعَـالىٰ: ﴿قُـلْ لا يَعْلَـمُ مَـنْ فِـي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

فَلْنَنْظُر إذَن مَا جاءَ مِن إعْجَازِ القُرآنِ في الغَيْب ومَا حَـدَّث عَنْهُ قَبْلَ حُصُولِهِ وَوُقُوعِهِ.

غَزْوَةُ بَدْرٍ

قال تعـالىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُـمُ اللَّـهُ إِحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غيرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم وَيُرِيدُ اللَّـهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾. [الأنفال:٧].

التفسير: ﴿و﴾ اذكُر ﴿إذ يعدكُمُ اللهُ إحْدَىٰ الطَّائِفَتَيْنِ﴾

العِيْرُ أو النَّفيرُ ﴿أنَّهَا لكم وتَـوَدُّونَ﴾ تريـدونَ ﴿أنَّ غـيرَ ذَاتِ الشَّوكَةِ﴾ أي البأس والسِّلاح وهي العِيْرُ ﴿تكُونُ لَكُـم﴾ لقِلَّـة عددها ومددهـا بخـلاف النَّفـير ﴿ويريـدُ اللهُ أن يُحِقَّ الحقَّ﴾ يُظْـهِرُهُ ﴿بِكَلِمَاتِـهِ﴾ السَّـابقة بِظُـهورِ الإسـلامِ ﴿ويقطـعَ دابِـرَ الكَافِرينَ﴾ آخرهم بالاستِئْصَالِ فأمركُم بقتالِ النَّفير.

وقد جاءَ ذَلِكَ قَبْلَ غَزْوَةِ بَدْرٍ، فاللهُ تَعَالىٰ وَعَدَ المسـلمينَ أن يَفُوزُوا بالقَافِلَةِ الَّتِي كـانُوا يُطارِدُونَـهَا، أو النَّصْـر في غَـزْوَةِ بَدْرٍ، فَمَن أخبرَ محمَّداً ﷺ بأنَّ القافِلَةَ ستَسْلَم وسيكونُ النَّصرُ للمسلمينَ في غَزْوَةِ بَدْرٍ؟.

موت أبي لهبٍ والوليدِ على الكُفْر

قال تعالىٰ عن الوليد: ﴿سَأُصْلِيْهِ سَقَرَ﴾ [سورة المدثر: ٢٦]

وقَال عَن أبي لَهَبٍ: ﴿سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المَسَد: ٣].

فكانَ مِنَ الممكِـنِ أن يُسْـلِمَ أحـدُ هَذيـن الرَّجُلَيْـن ليُثْبِـتَ خَطأَ القُرآن، ولكِنَّ القُرْآنَ أقرَّ أنَّهم لم يُسْلِمُوا ولَن يُسْلِمُوا فكَـانَ مَصِيْرُهُم النَّار.. فَمَاتَ كِلاهُمَا ولَم يُسْلِمَا باللهِ تَعَالىٰ.

حِفظُ النَّبيِّ منَ القَتْلِ

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧].

التفسير:

قوله تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ أي بَلِّغ أنتَ رسَالَتِي، وَأَنَا حَافِظُك وناصرُكَ ومُؤَيِّدُك علىٰ أعدائِكَ وَناصِرُكَ عَلَيْهم، فلا تَخَفْ وَلا تَحْزَن، فَلَن يَصِلَ أحدٌ منهُم إليكَ بسوءٍ يُؤذِيَكَ. ولَن تُقْتَلَ قَتْلاً بَل تَمُوتُ علىٰ فِرَاشِكَ.

وقد كانَ النَّبِيُّ ﷺ قبلَ نُزُولِ هَذِهِ الآية يُحْرَسُ. كمَا قَالَ الإمامُ أَحْمَد عَن عَائِشَةَ رضي الله عنها كانَت تُحَدِّث: أَنَّ رسولَ الله ﷺ سَهِرَ ذات ليلةٍ وَهي إلىٰ جَنْبِهِ قَالت، فَقُلْتُ: مَا شَأْنُكَ يَا رَسُولَ الله؟ قال: « لَيْتَ رَجُلاً صَالِحاً مِن أَصْحَابِي يَحْرُسُنِي اللَّيلَةَ » قَالَت: فَبَيْنَا أَنَا على ذلكَ إذ سَمِعْتُ صَوتَ السِّلاحِ، فَقَال: « مَن هَذَا؟ » فَقَالَ: أَنَا سَعْدُ بنُ مَالِكٍ، فقال: « مَا جَاءَ بِكَ؟ »

قَالَ: جِئْتُ لأَحْرُسَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَت: فَسَمِعْتُ غَطِيطَ رَسُول الله ﷺ في نَوْمِهِ. قَالَت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُحْرَسُ حتَّىٰ نَزَلَت هَذِهِ الآيةُ: ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ قَالَت: فَأَخْرَجَ النبيُّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ القُبَّةِ وَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَد عَصَمَنَي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». [رواه الترمذي].

وَحِفْظَ اللهُ تعالىٰ رَسولَهُ ﷺ مِن أَهْلِ مكَّةَ وصَنَادِيْدِهَا وحُسَّادِهَا ومُعَانِديْهَا ومُتْرَفِيْهَا، مع شِدَّة العداوة والبُغْضَةِ وَنَصْبِ المُحَارَبَةِ له ليلاً ونهاراً، بِمَا يَخْلُقُهُ اللهُ مِن الأسبابِ العَظِيْمَةِ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ العَظِيْمَةِ، فَصَانَهُ في ابتِدَاءِ الرِّسَالَةِ بِعَمِّه أبي طَالِب إذ كانَ رئيساً مُطاعاً كبيراً في قُرِيش، وخلَقَ اللهُ في قَلْبِهِ مَحَبَّةً طبيعيةً لِرَسُول الله ﷺ لا شَرْعِيَّة، ولَو كَانَ أسلَمَ لاجْتَرأَ عَلَيْهِ كفَّارُهَا وكِبَارُهَا. ولَمَّا مَاتَ عمُّهُ أَبُو طَالِب، نَالَ مِنْهُ المشرِكُونَ أَذًىٰ يَسِيراً.

ثمَّ قيَّضَ اللهُ لَهُ الأنصارَ فبَايَعُوهُ علىٰ الإسْلام، وَعلَىٰ أن يَتحَوَّلَ إلىٰ دَارِهِم وَهِيَ المَدِيْنَة، فَلَمَّا صَارَ إليهَا مَنَعُوهُ مِنَ المُشْرِكِيْن وَأَهْلِ الكِتَابِ ومِمَّن أَرادَهُ بِسُوءٍ ﷺ.

فَتْحُ مكَّةَ

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح:٢٧].

التفسير: كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَد رَأىٰ في المَنَام أنَّهُ دَخَلَ مكَّةَ وَطَافَ بِالبَيْتِ، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِذَلِكَ وَهُو بِالمَدِيْنَةِ، فَلَمَّا سَارُوا عَامَ الحُدَيبيةِ لَم يَشكّ جَمَاعَةٌ مِنْهُم أنَّ هَذِهِ الرُّؤيا تَتَفَسَّر هَذَا العَام، فَلَمَّا وَقَعَ مَا وَقَعَ مِن قَضِيَّةِ الصُّلْح وَرَجَعُوا عَامَهُم ذَلِكَ علىٰ أن يَعُودُوا مِن قَابِل، وَقَعَ فِي نَفْسِ بَعْضِ الصَّحابَةِ ﷺ مِن ذَلِكَ شَيء، حَتَّىٰ سأَلَ عُمَرُ بنُ الخَطابِ ﷺ في ذلك فقال لَه فيما قَالَ: أفَلَم تكُن تُخبِرُنَا أنَّا سَنَأتِي البيتَ وَنَطُوفُ بِهِ؟ فقَالَ ﷺ: « بَلَىٰ، ولكِن هَل أَخْبَرْتُكَ أنَّكَ تَأتِيهِ عَامَكَ هَذَا؟» قَالَ: لا، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: « فإنَّكَ آتِيهِ وَمُطُوفٌ بِهِ » وبِهَذَا أجاب الصديق ﷺ أيضاً، ولهذا قال تبارك وتعالىٰ:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ..﴾ وهَذا لِتَحقِيقِ الخبَرِ وتَوكِيْدِهِ.

ولمَّا كَانَ في ذِي القَعْدَةِ مِن سَنَةِ سَبْع خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إلىٰ مكَّة مُعْتَمِراً، هُو وأهل الحُدَيْبية، فأحْرَمَ مِن ذِي الحُلَيْفَةِ، وَسَاقَ مَعَهُ الهَدْيَ، وَهي ستُّونَ بَدَنَة، فَلَبَّىٰ وَصَارَ أَصحابُهُ يُلَبُّون، فَلَمَّا كَانَ ﷺ قريباً مِن مَرِّ الظَّهْرَان بَعَثَ (مُحَمَّدَ بنَ مسْلَمَةَ) بِالخَيْلِ والسِّلاح أمَامَهُ، فَلَمَّا رآهُ المشركونَ رعِبُوا رُعْباً شَدِيْداً، وظَنُّوا أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَغْزُوهُم وأنَّهُ قَد نكَثَ العَهْدَ الَّذِي بيْنَهُم وبَيْنَهُ مِن وَضْع القِتَال عَشْر سِنِيْنَ، فَذَهَبُوا، فَأخْبَرُوا أَهْلَ مكَّةَ، فَلَمَّا كَانَ في أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ بَعَثَت قرَيْش (مكْرَز بنَ حَفْص) فقَالَ: يَا مُحَمَّد مَا عَرفْنَاكَ تَنْقُضُ العَهْدَ، فقَالَ ﷺ: «ومَا ذَاكَ؟» قَالَ: دَخَلْتَ عَلَيْنَا بِالسِّلاح وَالرِّمَاحِ، فقَالَ ﷺ: «لَم يكُن ذَلِكَ وَقَد بَعَثْنَا بِه إلىٰ يَأْجُجَ» فَقَالَ: بِهذَا عَرَفْنَاكَ بِالبِرِّ وَالوَفَاءِ، وَخَرَجَت زُعَماءُ الكفَّارِ مِن مكَّةَ لِئَلاَّ يَنْظُروا إلىٰ رَسُول اللهِ ﷺ وَإلىٰ أَصْحَابِهِ رَضِيَ الله عَنْهُم غَيْظاً وَحنقاً.

وأما بقيةُ أهْل مكَّةَ مِنَ الرِّجَال وَالنِّساء والولْدَان، فَجلَسُوا

في الطُّرُقِ وَعَلىٰ البيوتِ يَنْظُرُونَ إلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأصحابِهِ، فَدَخَلَهَا عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام، وَبَيْنَ يَدَيْهِ أَصْحَابُهُ يُلَبُّونَ، وَهُوَ رَاكِبٌ (نَاقَتَهُ القَصْوَاءَ) الَّتي كَانَ رَاكِبُهَا يَوْمَ الحُدَيْبِيَّةِ، وَعَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ الأنْصَاري آخِذٌ بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَقُودُهَا وَهُوَ يقولُ:

خَلُّوا بَنِي الكُفَّارِ عَنْ سَبِيْلِهِ إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُه

خَلُّوا فَكُلُّ الخَيْرِ في رَسُولِهِ يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقِيْلِه

نَحْنُ قَتَلْنَاكُم عَلَىٰ تَأْوِيلِهِ كَمَا قَتَلْنَاكُم عَلَىٰ تَنْزِيْلِه

ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الخَلِيْلَ عَنْ خَلِيْلِه

ثمَّ قَالَ تبارَكَ وَتَعَالىٰ مُبَشِّراً للمُؤْمِنِيْنَ بِنُصْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ عَلىٰ عَدُوِّهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ أَهْلِ الأَرْضِ: ﴿هوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ﴾ أي بِالعِلْم النَّافِع وَالعَمَلِ الصَّالِح، فَإِنَّ الشَّرِيْعَةَ تَشْتَمِلُ عَلىٰ شَيْئَيْنِ: «عِلْم، وَعَمَل» ﴿لِيُظْهِرَهُ علىٰ الدِّين كُلِّه﴾ أي علىٰ أهل جَمِيْع الأدْيَان مِن سَائِرِ أَهْلِ الأَرْضِ، مِن عَرَبٍ وَعَجَمٍ، وَمُشْرِكِيْنَ ﴿وكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْداً﴾ أي أَنَّهُ رَسُولُهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ.

وَفي السنَّة الثَّامنــةِ للـهجرةِ مِـن شَـهْر رَمَضَـانَ المبـارَكِ، دَخَلَت جيُـوشُ المُسْـلِمينَ مكّـةَ بـلا مُقاومَـةٍ، وتمَّ فتـحُ البَلَـدَ الأمينِ بلا قِتَالٍ، ودخلَ النبيُّ ﷺ علىٰ ناقتِهِ، لا كما يَدْخُـلُ الفاتِحُون في كبريائِهِم وَجَبَرُوتِهِم بلْ دَخَلَ خاشِـعاً مُتَواضِعاً، مُكِبّاً علىٰ رَحْلِ نَاقَتِهِ، يكـادُ رأسُه يَلْمِسُ الرَّحـلَ، شُكْراً للهِ تعالىٰ علىٰ ما أنعمَ بهِ من هذا الفَتْحِ المُبينِ، ومـا مَنَّ بـهِ مـن هذا الفَضْلِ الكبيرِ، ولم يزلْ عليه الصلاةُ والسـلامُ يقـرأ سـورَةَ الفَتْحِ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ الكعبةِ ومَعَهُ المسلمونَ، فاستلمَ الرُّكْـنَ بمحجَنِهِ [عصا قصيرة] وكَبَّرَ، فَكَـبَّرَ المسـلمونَ بِتَكْبيرِهِ، حتـىٰ ارتَجَّت لِتَكْبيرِهم أرجاءُ مَكَّةَ، ثـم طـافَ بـالبيتِ سَعْياً علـىٰ ناقَتِهِ، وهو في كُلِّ طوفَةٍ يَسْتَلِمُ الحجرَ الأسودَ بِمِحْجَنِـهِ حتـىٰ أَتمَّ طوافَهُ، ولما فَرَغَ ﷺ من طَوافِهِ نَزَلَ عن راحِلَتِهِ، ثم انتـهىٰ إلىٰ المقامِ فَصلَّىٰ فيه ركْعَتينِ، ثـم انْصَرَفَ إلىٰ زَمْـزَمَ فَشَـرِبَ منـها وتَوَضَّـأ، والمسـلمونَ حَوْلَـه يفعلُـون فِعْلَـهُ، والمشـركونَ يَنْظُرُونَ ويعجبونَ لِمَا يَرَوْنَ من هذا ويقولـون: مـا رأينـا مُلْكـاً أَبلغَ من هذا ولا سَمِعْنا بِهِ..

عَفْوٌ لا مَثِيْلَ لَه:

ثُمَّ خَطَبَ رسولُ الله ﷺ خُطْبَةً طويلةً، ذَكَرَ فيها جُمْلَةً من الأحكامِ ثم قال: « يا معشرَ قريش، إنَّ الله قد أَذْهَبَ عنكم نَخوَةَ الجاهليةِ وتعظُّمها بالآباءِ.. النَّاسِ من آدمَ، وآدمُ من تراب». ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿يا أيُّها النَّاسُ إنَّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُم شُعُوباً وقبائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أتْقَاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ﴾. ثُمَّ قال: « يا معشرَ قريش، ماذا تَقُولُون.. وماذا تَظُنُّونَ أنِّي فاعلٌ بِكُم ؟» قَالُوا: خيراً أخٌ كريمٌ، وابنُ أخٍ كَرِيمٍ.. قال: « أَقُولُ كَمَا قَالَ أخِي يوسُفُ: لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليومَ، يَغْفِرُ اللهُ لكم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِيْنَ.. اذهبُوا فَأنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»..!

ولقد كَانَ هَذا العَفْوُ منَ النبيِّ ﷺ فَتْحاً آخرَ، فَتَحَ اللهُ بِهِ القُلُوبَ المُنْكِرَةَ فَأَصْبَحَت تَفِيْضُ بالحبِّ والإخْلاصِ لِدِيْنِ اللهِ، ولرسولِ اللهِ ﷺ المبعوثِ رحمةً مِنْ قِبَلِ اللهِ تعالىٰ، قال تَعَالىٰ: ﴿وَمَا أرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فَدَخَلَ النَّاسُ في دِينِهِ بِنُفُوسٍ رَاضِيَةً مُطْمَئِنَّةً.

هَدْمُ الأَصْنَامِ:

وكان دُخُولُ رسولِ اللهِ ﷺ مكَّةَ في العشرينَ من شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثمانٍ مِن الهجرةِ، وَأَمَرَ بلالاً أن يُؤَذِّنَ فوقَ الكعبةِ، فَصَعِدَ بلالٌ علىٰ ظَهْرِها وأخذَ يُدَوِّي بصوتِه في الأرجاءِ: «اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا الله، أشهَدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، أشهدُ أنَّ محمداً رسولُ الله، حيَّ علىٰ الصلاةِ، حيَّ علىٰ الصلاةِ، حيَّ علىٰ الفلاحِ، حيَّ علىٰ الفلاحِ، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إلهَ إلا الله».. ثُمَّ أُقيمت الصلاةُ، فقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي بالنَّاسِ في حَرَمِ البيتِ، وقامَ النَّاسُ مَعَهُ علىٰ صُفُوفِهِم، يَرْكَعُون بِركوعِهِ وَيَسْجُدُونَ بسجودِهِ، وَيَقُومونَ كُلَّما قامَ.. ويجلِسُون كُلَّما جَلَسَ.

وأخذَ النَبِيُّ ﷺ يمْحُو بِمَكَّةَ كلَّ أثرٍ من آثارِ الشِّركِ والوثَنِيَّة، فأمرَ بهدمِ ما كانَ حولَ الكعبةِ من الأصنامِ، وكانَ حولَ الكعبةِ ثلاثمئة وستونَ صنَماً، لكلِّ حيٍّ من أحياءِ العربِ صنَمٌ، فُهُدِمَت الأصنامُ كُلّها ولما فَرَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِن أمْرِ الكعبةِ وَطَهَّرَها من كلِّ ما كانَ يُدَنِّسُها من آثارِ العُبُودِيَّةِ لغيرِ

اللهِ تَعَالىٰ، أَمَرَ مُنَادِياً ينادي في أهلِ مَكَّةَ: «مَن كَانَ يُؤْمِنُ بـالله وَاليومِ الآخرِ فلا يَدَع في بيتِهِ صَنَماً إلا كَسَرَهُ» ثُمَّ بعـثَ رسـولُ اللهِ ﷺ سراياه في قبائِلِ العربِ حَولَ مَكَّةَ، لِيَهْدِمُوا مـا بِـها مـن الأصنـامِ، وذلـكَ حتـىٰ تَتَحَـرَّر العقـولُ مــن أوهــامِ التَّقَـاليدِ والعاداتِ، وتتخَلَّصَ من كلِّ أنواعِ الشِّرْكِ بالله تعالىٰ.

فَتْحُ القُسْطَنطِينِيَّة

روىٰ أحمد في مسنده والحاكم، عَن عَبْـد اللَّـهِ بْـنِ بِشْـرٍ الْخَثْعَمِـيِّ عَـنْ أَبِيـهِ أَنَّـهُ سَـمِعَ النَّبِـيَّ ﷺ يَقُـولُ: «لَتُفْتَحَـنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلَنِعْـمَ الأَمِـيرُ أَمِيرُهَـا، وَلَنِعْـمَ الْجَيْـشُ ذَلِـكَ الْجَيْشُ». قَالَ فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي فَحَدَّثْتُهُ فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ.

وقد حقَّـقَ اللهُ مـا أخـبرَ بِـهِ رَسُولُهُ الكَرِيـمُ ﷺ وفُتِحَـت القُسْطَنْطِينِيَّةُ وكَانَ الَّذي فتَحهَا هُوَ مُحَمَّد الفَاتح، سَابعُ مُلـوكِ بَنِي عُثْمَان، وَاسْمُهُ السُّلطانُ مُحَمَّد بـنُ السُّلطانِ مُرَاد خَان، وُلِدَ سَنَةَ (٨٣٥ هـ) وَولِيَ السَّلطَنَةَ سَنَةَ (٨٥٦ هـ) وكَـانَت مُـدَّةُ ولايَتِهِ (٣١) سَنَةً رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ.

وكَانَ مِن عُظَمَاءِ سَلاطِينِ بَنِي عُثْمَانَ وكَانَ مَلِكاً فَاضِلاً نَبِيْلاً جَلِيْلاً، وقد فَتَحَ اصطَنْبُولَ فِي اليَوْم (الحَادِي والخَمْسِين) مِن أيَّام مُحَاصَرَتِهِ وَهُو يَوم الأرْبِعَاءِ (العِشْرُونَ مِن جُمَادَىٰ الآخِرَةَ سَنَةَ سَبْع وَخَمْسِينَ وَثَمَانِمِئة) وصَلَّىٰ في أكْبَرِ كَنَائِسِ النَّصَارىٰ صَلاةَ الجُمُعَةَ وهي « أيَا صُوفِيَا » وَقَد أَسَّسَ في اصْطَنْبُولَ للعِلْمِ أَسَاساً رَاسِخاً لا يُخْشَىٰ عَلَيْهِ الضَّياع.. وبَنَىٰ بِهَا المَدَارِسَ فَجَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الجزَاءِ عَنِ المُسلِمِينَ..

هلاك قيصر وكسرى، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله تعالى

روىٰ البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا هَلَكَ كِسْرَىٰ فَلا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ ».

قال العلماءُ: قولُهُ ﷺ: « إِذَا هَلَكَ كِسرىٰ، فلا كِسْرىٰ بَعْدَه » أراد به بِأَرضِهِ وهي العِرَاقُ، وقولُهُ: « وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ

فلا قَيْصرَ بَعْدَه» يريدُ بهِ بِأَرْضِهِ وهي الشَّامُ، لا أنَّه لا يكونُ كِسرىٰ بَعْدَه ولا قَيْصَرُ. ولقد تمَّ فَتْحُ هذِهِ البلادِ ونَحنُ اليومَ نَنْعَمُ بِهَا وَالحَمْدُ للهِ ربِّ العَالَمين.

موتُ النَّبِيِّ ﷺ ثمَّ فاطمة ابنته بعده

روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن عَائِشَةَ: أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ ابْنَتَهُ فَسَارَّهَا فبكَتْ، ثُمَّ سَارَّهَا فَضَحِكَتْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لِفَاطِمَةَ: مَا هَذَا الَّذِي سَارَّكِ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فبكَيْتِ، ثُمَّ سَارَّكِ فَضَحِكْتِ؟ قَالَتْ: سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي بِمَوْتِهِ فبكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ مَنْ يَتْبَعُهُ مِنْ أَهْلِهِ فَضَحِكْتُ.

قال العُلَمَاءُ: هَذِهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ ﷺ بَل مُعْجِزَتَان، فَأَخْبَرَ بِبَقَائِهَا بَعْدَهُ وَبِأَنَّهَا أَوَّل أَهْلِهِ لَحَاقاً بِهِ ﷺ، ووَقَعَ كَذلِكَ، وَضَحِكَت سُرُوراً بِسُرْعَةِ لحَاقِهَا. وَفِيهِ إِيثَارهُم الآخِرَةَ، وَسُرُورُهُم بِالانْتِقَال إِلَيْهَا وَالخَلاص مِنَ الدُّنْيَا الفانِيَةِ. وَاللهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ وأحكم.

إِخبارهُ ﷺ عَن أوَّل نسائه لُحوقاً بهِ

روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما عَن عَائشةَ بنتِ طلحةَ عَن عَائِشَةَ ﵂ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَسْرَعُكُنَّ لحَاقاً بي أطولُكنَّ يَداً». قالتْ: فكنَّ يَتطاولنَ أَيَّهنَّ أطولُ، قَالَتْ: فكانَ أطولَنا يداً زينبُ، لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بيدِهَا وَتَتَصَدَّقُ.

قال النووي رحمه الله تعالى: معنىٰ الحديث أنهنَّ ظنَنَّ أنَّ المرادَ بِطُول اليَدِ طُول اليدِ الحَقِيْقِيَّةِ، وَهِيَ الجَارِحَةُ، فكُنَّ يَقِسْنَ أَيْدِيَهُنَّ بِقَصَبَةٍ، فكَانَت سَوْدَةُ أطولَهُنَّ يداً، وكَانَت زَيْنَبُ أطولَهُنَّ يَداً في الصَّدَقَةِ وَفِعْلِ الخَيْرِ، فَمَاتَت زَيْنَبُ أَوَّلهنَّ، فَعَلِمُوا أنَّ المرادَ بِطُولِ اليَدِ فِي الصَّدَقَةِ وَالجُودِ والكَرَمِ.

المسابقةُ في الشَّهادَات والأيمانِ الكَاذِبَةِ

روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن عِمرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ يُحَدِّثُ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يَنْذرُونَ وَلا يَفُونَ وَيَخُونُونَ وَلا

يُؤْتمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ».

قال العُلماءُ: قَوْلهُ ﷺ: (خَيْرُكُم قَرْنِي) وفي رِوَايَـةٍ (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي.. إلى آخره). اتَّفَقَ العلمـاءُ علىٰ أنَّ خَيْرَ القُرونِ قَرْنَهُ ﷺ والمُراد أصْحَابَهُ، وَالمُرَادُ بِالقَرْن هُنَا، والصَّحِيْح أنَّ قَرْنَـهُ ﷺ الصَّحَابَـة، والثَّـانِي التَّـابِعُونَ، والثَّـالِث تَـابِعُوهُم بإحسان إلىٰ يوم الدِّين.

قوله ﷺ: (وَيَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ) مَعْنَاهُ يَخُونُـون خِيَانَـةً ظاهرةً بِحَيْثُ لا يَبْقَىٰ مَعَـهَا أمَانَـةٌ، وفي هـذا الحَدِيْـث دَلالَـةٌ علىٰ نُبُوَّتِه، وَمُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُول اللهِ ﷺ فإنَّ كلَّ الأمور الَّتي أَخْبَرَ بِهَا وَقَعَت كَمَا أَخْبَرَ. والله تعالىٰ أعلم.

الإخبار عَنْ قَتْل الحُسين رضي الله عنه

روىٰ أحْمَد وَابنُ حِبَّانَ في صَحِيْحِهِ، عَن أنَسِ بـنِ مَـالِكٍ قَالَ: اسْتَأْذَنَ مَلَكُ القَطْرِ ربَّهُ أنْ يَزُورَ النبيَّ ﷺ فأذِنَ لَـهُ، فكـانَ في يومِ أمِّ سلمةَ، فقالَ النـبيُّ ﷺ: «احْفَظِـي عَلَيْنـا البَـابَ، لا يَدْخُلُ عَلَينَا أحَدٌ» فبيْنا هِي علىٰ الباب إذْ جاءَ الحُسَينُ بـنُ عليٍّ فظَفَرَ فَاقْتَحَمَ، ففتَحَ الباب فَدَخَلَ فجعلَ يَتَوَثَّبُ علىٰ ظَـهْر

النبيِّ وجعلَ النبيُّ يَتَلَثَّمُهُ ويُقَبِّلُهُ، فقالَ لَهُ المَلَكُ: أتُحِبُّهُ؟ قالَ: «نعمْ» قالَ: أما إنَّ أُمَّتَكَ سَتَقْتُلُه إنْ شئتَ أريتُكَ المكانَ الذي يُقتَلُ فيهِ؟ قالَ: «نعم» فَقَبَضَ قَبْضَةً مِنَ المكان الَّذي يُقتَلُ فيهِ، فأراهُ إيَّاهُ فجاءه بسهلةٍ أو تُرابٍ أحمر، فأخَذَتْهُ أمُّ سَلَمَةَ، فجَعَلَتْهُ في ثوبِها. قال ثابت: كُنَّا نَقُولُ: إنَّهَا كَرْبَلاء. وقُتِلَ يا بُنَيَّ الحُسينُ مَظلوماً صَابِراً مُحتَسباً، قَتَلَهُ عَدُّو اللهِ عُبيدُ اللهِ بنُ زِيَاد.

إخبارُهُ ﷺ عنِ استحلال المسلمينَ الخمرَ والمعازِفَ في آخرِ الزمان

رَوىٰ البخاري في صحيحه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَيَكُونَنَّ فِي أُمَّتِي أَقْوامٌ يَسْتَحِلُّونَ الحَرِيرَ والخَمْرَ والمَعَازِفَ».

وقَد صَدَقَ رَسولُ اللهِ ﷺ فيما أخبَرَ بهِ عن هذا الزَّمان.

إخبارُهُ ﷺ عن مباهاة الناسِ بزَخْرَفَةِ المساجد

رَوىٰ ابن حبان في صحيحهِ والنَّسائي، عَن أنسِ بنِ مالكٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَبَاهىٰ النَّاسُ فِي المَسَاجِدِ».

لا شَكَّ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِهِ ﷺ قد حَصَلَ. وقَد قَالَ العُلماءُ إنَّ نَقْشَ المَسْجِدِ وتَزْوِيقَهُ مَكرُوهٌ، وَقَلِيْلٌ مِنَ العُلَماءِ قَالَ إِنَّهُ غَيرُ مَكرُوهٍ، لأنَّ المُصْطَفَىٰ ﷺ لَم يَذُمَّ ذَلِكَ.. أَمَّا التَّبَاهِي المذكُور هنَا فَمَذْمُومٌ وَإِنْ كَانَ في غَيْرِ زَخْرَفَةِ المَسَاجِدِ. وَاعلَم يَا بُنيَّ أَنَّهُ ليسَ كُلُّ عَلامَةٍ تَدُلُّ علىٰ قُرْبِ السَّاعَةِ تكُونُ مَذْمُومَة.

إخبارُهُ ﷺ عَنْ ظُهور الزِّنى وكثرة الجهر به في آخرِ الزمان

روىٰ ابن حبان في صحيحه، عن عبد الله بنِ عمرٍو قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَتَسَافَدُوا فِي الطَّرِيقِ تَسَافُدَ الحَمِيرِ» قُلْتُ: إنَّ ذَاكَ لَكَائِنٌ؟ قالَ: «نَعَمْ لَيَكُونَنَّ».

(يتسافد) تَسَافُد الحيوان: نَزَا بعضُهُم علىٰ بعض. وهو بمعنىٰ الزِّنَىٰ والعَلاقَاتِ الغَير شَرْعِيَّة، دُونَ خَشْيَةٍ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ أو حَيَاءٍ مِنَ النَّاسِ..

وَهَذا أَيضاً يَا بُنيَّ حَصَلَ وَيَحْصُلُ في بِلادِ المسلمينَ كَمَا أَخبرَنَا بِهِ ﷺ ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ.

إخبارُهُ ﷺ عَنْ قِلَّة الرِّجال وكَثْرةِ النِّساءِ في آخرِ الزمان

روىٰ البخاري ومسلم، عَن أنسِ بنِ مالكٍ أنَّه قَالَ يوماً: ألا أُحدِّثُكم بحديثٍ لا يُحدِّثُكم بـه أحـدٌ بعـدي سمعتُه مـن رسولِ اللهِ ﷺ، سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لا تَقُومُ السَّاعَةُ، أو مِنْ شَرَائِطِ الساعةِ، أنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، ويَكثُرَ الجَهْلُ، ويُشْـرَب الخَمْرُ، ويَظْهَرَ الزِّنىٰ، ويَقِلَّ الرِّجَالُ، وتَكثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّىٰ يكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً قَيِّمٌ وَاحِدٌ».

قوله: (لا يحدثكم أحدٌ بَعْدِي أنَّـه سَـمِعَهُ مِـن رَسُـول اللهِ ﷺ) أي عَرَفَ أنسٌ رضي الله عنه أنَّه لَم يَبْقَ أحدٌ مِمَّن سَمِعَهُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيْرهُ. لأنَّه كَانَ آخِرَ مَن مَاتَ بِـالبَصْرَةِ مِـنَ الصَّحَابَـةِ، وكَانَ تَحْدِيْثُهُ بِذَلِـكَ في آخِرِ عُمُـرِهِ لأنَّـهُ لَـم يَبْـقَ بَعْـدَهُ مِـنَ الصَّحَابَةِ مَن ثَبتَ سَمَاعُهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ النَّادِر.

(أن يرفـع العلـم) أي بمـوتِ العلمـاءِ. (ويفشـوا الزِّنـا، ويُشْرَبُ الخَمْرُ) المرادُ كَثْرَة ذَلِكَ وَاشْتِهَاره (وتكثُرُ النِّسَاءُ) قِيْـلَ سَبَبُهُ أنَّ الفِتَنَ تكثُرُ فيكْثُرُ القَتْلُ في الرِّجَال لأنَّهُم أهْـلُ الحَـرْبِ دُونَ النِّسَاء (وَيَقِلُّ) مِنَ القِلَّةِ (قيم واحد) أي من يَقُومُ بأمرهنَّ.

الطُّوفَان

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾ [الفرقان:٣٧].

وقَد حَدَّدت الآياتُ القرآنِيَّةُ التي ذكَرهَا النَّبيُّ ﷺ بِشَكْلٍ دَقِيْقٍ مُحْتَوىٰ السَّفِيْنَةِ بِتَنْفِيْذِ نُوح لأَمْرِ اللهِ.

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

وقد احتَوَت الآياتُ مِن سورة ﴿هود﴾ والآيات من سُورَةِ ﴿المؤمنون﴾ عَلىٰ أحداثِ الطُّوفَانِ بِمَا فِيْهَا (جَبَلِ الجُودِيِّ) (وهُو قمَّة جِبَال أَرارَات) في شَرْقِ تُرْكِيًا.

وتبيَّنَ يَا بُنيَّ أَنَّ ما ذكَرَهُ القُرآنُ الكَرِيمُ يَتَوَافَقُ تَماماً مَع العُلُومِ التَّارِيْخِيَّة وَالاكتِشافَاتِ الأثَرِيَّةِ الحَدِيْثَةِ، وتَخْتَلِف عَمَّا كَانَ يَعرِفُهُ البشَرُ وَقْتَ نُزولِ القُرآنِ الكَرِيم.

وقد أثْبَت العَالِمُ (ليونارد) رئيسَ البعثةِ الَّتي شَارك فيها المتحفُ البريطانِيُّ وجامِعَة بَنسلفانيا الأمريكية عام (١٩٢٠م) وقامَت هَذِهِ البِعْثَةُ بِالحَفْرِيَّات فِي (تل العبِيْد) شَمَال مَدِيْنَة (أور) في العِرَاق.

واكتشفَت طبقات عَمِيْقَة مِن الطمِّي طُمِرَت فِيْهَا الأوَانِي والتَّمَاثِيْل الفَخَارِيَّة، وأجزَاء مِنَ الطِّين لا تَزَالُ مُنْطَبِعَة عليها آثارُ أعوادِ القَصَبِ (البوص) المَضْغُوطِ عَلَيْها.

وقد استَدَلَّ «ليونَارد» مِن الفَحْصِ المَجْهَري لكَمِّيَاتِ الطُّمِّي أنَّه يتكوَّن مِن مَوَاد جَرَفَتْهَا المياهُ (دفعةً واحدةً) مِن المَنْطِقَةِ الوُسْطَىٰ لِنَهْرِ الفُرَاتِ، بِشَكْلِ فَيضَانٍ عَظِيْم ارتِفَاعُهُ لَم يكُن أقَلَّ مِن خَمْسَةٍ وَعِشْرِيْنَ قَدَماً (وقد وَرَدَ فِي التَّوْرَاة أنَّ ارتِفَاعَ الطوفَانِ بَلَغَ ٢٦ قَدَماً).

وقَالَ العَالِم «ليونَارد» أنَّ الطُّوفَانَ لَم يَشْمَل الدُّنيا كُلَّها، وَلَكِنَّهُ كَانَ سَيْلاً عَرِماً طَغَىٰ علىٰ وادِي دَجْلَةَ وَالفُرَات، وَأغْرَقَ كُلَّ المَنْطِقَة المأهُولَة بَيْنَ الجِبَال شَرْقاً والهَضَبَةِ الصَّحْرَاوِيَّةِ غَرْباً. وَهِي المنطِقَةُ الآهِلَةُ بِسكَّان الدُّنيا وقتئذٍ.

وقد سبَقَ النبيُّ ﷺ هذا الاكتشافَ فأخبَرنا عـن أحـداثِ هذهِ القِصَّةِ وتتَلَخَّصُ فيما يلي:

أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أرسَلَ نُوحاً عليه السلام إلىٰ قَومٍ يعبُـدونَ الأصنـامَ من دونِ اللهِ، وَرزَقَـهُ اللهُ صَبْراً عَلـىٰ الجَـدَلِ، وبَصَـراً بِوسَـائِلِ الإقنَاعِ، فَدَعَاهُم إلىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بكُـلِّ حِكمَـةٍ ومَوعِظَـةٍ حَسَنَةٍ، ولَكِنَّهُم أعرَضوا، ثُـمَّ إنَّـهُ رَغَّبَـهُم في الثَّوابِ الجزيـلِ مـنَ اللهِ تَعالَىٰ إن هـم أطـاعُوه.. لَكِنَّـهُم وَضَعـوا أصَابِعَـهُم في آذانِـهم واسْتَكْبَرُوا استِكباراً.. فَـأخَذَ يُجَـاهِدُ في إبْـلاغِ الرِّسـالةِ، فَدَعَاهم ليلاً ونهاراً وسِرّاً وجِهَاراً، وَظَلَّ هكَـذا يُنـاضلُ ويُقيـمُ الحُجَـجَ، ويَبْسُـطُ البَراهِينَ، حتَّـىٰ لَبِـثَ فيـهم ألـفَ سَنَةٍ إلاَّ خمسينَ عاماً..

وطِيلَةَ هذهِ الفَترَةِ يا أحِبَّتِي لَم يُؤمنَ مَعَهُ إلاَّ القَليـلَ مِـنَ الناسِ، استَجابوا لِدَعوتِهِ، وَصَدَّقُوا بِرِسَالتِهِ، أمَّا القِسـمُ الأكـبرُ منهُم فقَـد طَبَـعَ اللهُ علىٰ قُلُوبِهم فَلَـم يُؤْمِنُـوا، ولم يُصَدِّقُـوا، وكَانُوا مِـنْ كُبَراءِ القَـومِ ذَويَ الشَّـرفِ العَظِيـمِ، حيـثُ أخَـذُوا يَسْتَهْزِؤونَ بِهِ وَيَسْخَرُونَ مِنْـهُ، وَيَقُولُـون لَـهُ: مَـا أنْـتَ إلا بَشْـرٌ مِثْلُنَا، وَوَاحِدٌ مِنَّا، وَلَو أرادَ اللهُ أنْ يَبْعَثَ رَسُولاً لَبعَثَ مَلَكاً..

وهكَذَا يا أَحِبَّتِي اغْتَّر قَوْمُ نُوْحٍ بِأنفسِهم واستَكبَرُوا وَقَالُوا لَه مُستَهزِئِينَ بِهِ وبِمَن آمنَ مَعَهُ: يَـا نُـوْح، إن أَرَدْتَ لنَـا هِدَايَـةً وَتَوْفِيْقاً، ونَصْراً منَّا وإعْزَازاً، فَاذْهَب إلىٰ هَؤلاءِ الأصَاغِرِ الَّذِينَ آمَنُوا بِكَ، فَأبْعِدْهُم عَن حِمَاكَ، فَإنَّنَا لا نَسْتَطِيْعُ أن نَسِيْرَ عَلىٰ أُسْلُوبِهِم ، أو نُقْرَنَ فِي الاعْتِقَادِ بِهِم. فَقَالَ لَهُم نُوْحٌ: إنَّـها دَعْـوَةٌ عَامَّةٌ شَامِلَةٌ لَكُم جَمِيعاً، يَستَوِي فِيْهَا نَبِيهُكُم وَخَـامِلُكم، قَوِيُّكُـم وضَعِيفُكُم، الأغْنِيَاء مِنْكُم والفُقَرَاءُ، وَالمَرؤوسُونَ وَالرُّؤسَاءُ..

ولمَّا اشْتَدَّ الجِدَالُ بين نُوْح عليه السلام وقومِـهِ، الَّذِيـنَ سَئِمُوا مِنْهُ وضَاقَت صُدُورُهُم مِن دَعوَتِهِ، فقَالُوا لَهُ: يا نُوْحُ قَد جَادَلْتَنَـا فَأكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِيْنَ؟

فَهَزِئَ بِهِم نُوْحٌ وقال: يا قَـوم إنَّكُـم تُسْرِفُونَ في الجَـهْلِ، وَتُمْعِنُونَ في الحُمْقِ، وَمَن أنَا حَتَّىٰ آتيكم بِـالعَذَابِ، أو أَصُـدُّه عَنْكُم! وَهَل أنَا إلاَّ بشَـرٌ مِثْلُكُم يُوحَىٰ إليَّ، إنَّمَـا إلهكُـم إلـهٌ واحِـدٌ، فأنـا أبَلِّغُكُـم مَـا أُمِـرْتُ بِـهِ، أُبَشِّـرُكُم بِـالثَّوابِ مَـرَّةً، وَأُنْذِرُكُم بِالعَذَابِ مَرَّةً أُخْـرَىٰ ! ألا إنَّ مَـرَدَّ كُـلِّ شَـيءٍ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ، إن شَاءَ اللهُ هَدَاكُم أجمَعِيْـنَ، وإن شَـاءَ اسْتَعْجَلَ لَكُـم العَذَابَ، وَإن شَاءَ أَمْلَىٰ لَكُم لِيَزِيْدَ في عِقَابِكُم.

ومَرَّتِ الأيَّامُ والسُّـنُونُ وَنُـوحٌ يَدْعُـو إلىٰ اللهِ تَعـالىٰ بِجـدٍّ وحَزمٍ وإخلاصٍ.. وَيَنْتَظِرُ رُجُوعَ القَومِ إلىٰ دِينِ اللهِ.. ولكِـن يـا أحِبَّتِي كُلَّما كانَ يَفنىٰ قَرنٌ ثمَّ يَـأتي قَـرنٌ آخـرُ إلاَّ كَـانَ أهْلُـهُ أخْبَثَ مِن الَّذِيْنَ كَانُوا قَبْلَـهُم، حَتَّـىٰ إنَّـهم كـانُوا يَقُولُـونَ عـن نوحٍ: قَد كَانَ هَذا مَع آبَائِنَا وَأجْدَادِنَـا وكـانَ مَجْنُونـاً يَدعوهُـم إلىٰ عبادةِ اللهِ وتركِ الأصنامِ، وقَد أوْصونَا أن لا نَسْمَعَ لِكَلامِهِ.

فَكانَ هؤلاء القَوم لا يَقْبَلُونَ مِنْهُ شيئاً..

ولَمَّا طالَ ذَلِكَ علىٰ نُوحٍ.. وَرَأىٰ أنَّ الأولادَ أكثَر شَرّاً مِـنَ الآبَاءِ قَالَ مُناجِياً رَبَّهُ تباركَ وتعالىٰ: رَبِّ إنَّك تَـرىٰ مَـا يُفْعَـلُ بِي، ولستُ أبَالي في سَبيلِكَ، ما حَصَـلَ لِـي، إلاَّ أنَّـهُ لا يـأتِي جيلٌ، إلاَّ والذي بعدَهُ شرٌّ منهُ ﴿قَـالَ رَبِّ إنِّـي دَعَـوتُ قَوْمِـي لَيْلاً وَنَهاراً ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إلاَّفِـرَاراً ۝ وَإِنِّـي كُلَّمَـا دَعَوتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَـوْا ثِيَابَهُمْ وَأصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٧].

عِندَها أوحَىٰ اللهُ إلىٰ نُوْح: ﴿أنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَومِكَ إلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِس بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.[هود: ٣٦].

وعِنْدَهَا عَلِمَ نُوْحٌ أنَّ اللهَ قَد حَقَّت كَلِمَتُـهُ، وَقَضَـىٰ وَحْيَـهُ

أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ أحَدٌ بَعْدَ الذي آمَنَ معَهُ وهُم قَليلٌ، وأَنَّهُ قد طُبِعَ علىٰ قُلُوبِهم، نَفِدَ صَبْرُهُ وقَالَ عِندَهَا: ﴿رَبِّ لا تَذَر عَلىٰ الأَرضِ مِن الكَافِرِيْنَ دَيَّاراً إنَّك إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ وَلا يَلِدُوا إلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً﴾ [نُوْح: ٢٦ـ٢٧].

وبَعَدمَا استنصَرَ نُوْحٌ رَبَّهُ علىٰ قَومِهِ أوحَىٰ اللهُ إليهِ : ﴿أنِ اصْنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنَا وَوَحيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا إنَّهُم مُغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧].

فَأَقْبَلَ نُوْحٌ علىٰ صُنْعِ الفُلْكِ، وَاتَّخَذَ مَكَاناً بَعِيداً عَن المَدينةِ، وَأعَدَّ الألْوَاحَ وَالمَسَامِيْرَ، وَأخَذَ يَعْمَل بِجِدٍّ ونَشَاطٍ، مُمْتَثِلاً لأمرِ اللهِ تعالىٰ، وَلَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَم يَنْجُ مِن سُخْرِيَةِ القَومِ وَاستِهْزَائِهِم بِهِ وبِدَعوتِهِ، فَكَانَ بَعْضُهُم يَمُرُّ عليهِ ويَقُولُ لَهُ: يَا نُوْح كُنْتَ تَزْعُمُ قَبْلَ اليومِ أنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، فَكَيْفَ أصْبَحْتَ اليَومَ نَجَّاراً، أزَهِدْتَ في النُّبُوَّةِ، وَرَغِبتَ في النِّجَارَةِ!

لكن نُوْحاً عليه السلام انصرفَ إلىٰ السَّفِينَةِ يُقِيْمُ ألْواحهَا، وَيَصِلُ أجْزاءهَا، حَتَّىٰ استَوَت سَفِينَةٌ ذَات ألواح وَدُسُر ضخمَةً قويَّةً، وَجعَلَهَا نُوْحٌ عليه السلام ثَلاثَ طبقَاتٍ: سُفْلِيَّة، وَوُسْطَىٰ، وَعُلْيَا.

وبَعْدَ أن فرَغَ سَيِّدُنا نُوْحٌ عليه السلام مِن صُنْعِ الفُلْكِ أوْحَىٰ

اللهُ إليهِ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]. فكَانَ فَورانُ التَّنُورِ آيَةً بَيْنَهُ وبَيْنَ رَبِّـهِ، فَلَمَّا ظَهرت هَـذِهِ الآيَـةُ عَمَـدَ نُـوحٌ عليه السلام إلى السَّفينَةِ، وَأَخَذَ مَعَهُ مَن آمَنَ مِن قَومِهِ وَأَهْلِهِ، وَحَمَـلَ مَعَـهُ مِـن كُلِّ زَوجَيْنِ مِنَ الحَيَوانَـاتِ اثْنَينِ. وكَـانَ عَدَدهُـم ثَلاثَـةَ عَشْـر شَخْصاً وَهُم: سَـيِّدنا نُـوحٌ عليه السلام وأَوْلادُهُ سَام وَحَامَ وَيَـافِث، وَنِسَاؤُهم، وَسِتَّةُ أَشْخَاصٍ، وَقَـد تَخَلَّـفَ عَنْـه ابنُـهُ يَـام وقيـل: (كَنْعَان) وكَانَ كَافِراً، فَلَمَّا اطْمَـأَنَّ نُـوحٌ عليه السلام في الفُلْـكِ ـ أي السفينَةِ ـ جاءَ المَاءُ من كُلِّ جِهَةٍ وناحِيةٍ، فَـهطَلَ مِـنَ السَّمَـاء، ونَبَعَ من الأرضِ، قَالَ تعَالَىٰ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْـوابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوناً فَالتَقَىٰ المَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ [القمر:١١ـ ١٢] ثُمَّ قالوا: ﴿ بِسمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]. فسارت مـرةً في ريَاحٍ هَادِئَـةٍ وتَـارةً في ريـحٍ عَاصِفَـةٍ، وَأَصْبحَت الأَمْوَاجُ تَفْتَحُ بَيْنَ طَيَّاتِهَا للكَافِرِينَ قُبُوراً، يُغَالِبُونَ المَوتَ وَالموتُ يَغْلِبُهُم، وَيُصَارِعُونَ المَوجَ وَلكِنَّ الموجَ يَصْرَعُـهُم، فكَـانُوا مِنَ المُغْرَقِيْنَ الهَالِكِينَ. ونَجَّىٰ اللهُ نوحاً ومَن مَعَهُ.

أهلُ الكَهْفِ

قَالَ تَعَالىٰ في وَصْفِهِ لِفِتْيَةِ الكَهْفِ الَّذين لبثوا وَهُم نِيَامٌ في كهفهم ثَلاثَ مئةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظاً وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٨].

لقَد مَرَّ أكثر من أربعة عشر قرناً علىٰ ما جاءَ فِي القُرآن الكَرِيْم بِشَأن أَهْلِ الكَهْفِ، حَتَّىٰ جَاءَ عَصْرُنَا هَذا فَاكْتَشَفَ عَالِمُ الآثَارِ الأردُنِي (رفيق وفا الدَّجاني) عَام «١٩٦٣م» عِنْدَ منطَقَةِ الرَّحيب بالأردُن، مَغَارَةَ الكَهْفِ الَّتي اتَّخَذَها أصحابُ الكَهْفِ مَرقَداً لهم حينَ دَخَلُوها هاربين بِأنْفُسِهِم، وَفَارِّينَ بِدِيْنِهِم وإيْمَانِهِم بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِن طغيانِ المَلِكِ (دِيقيانُوس) وظَهَرَ في الكَهْفِ ثَمَانِيَةُ قبورٍ، وهُو العَددُ الَّذي ذكَرَهُ القرآنُ الكريمُ وبِقُرْبِ بابِ الكهفِ وُجِدَت جمجمةُ كلبٍ (الفَك العلوي فقط) وكان حَارِسَهُم.

وعَدَدُ أصحابِ الكَهْفِ سَبْعَةٌ منهم الرَّاعي، وثَامِنُهُم كلبُهُم، وقَد دُفِنَ الكلبُ علىٰ عَتَبَةِ البابِ حيثُ كَانَ يَحْرُسُ، ولَم يُدْفَن في القَبْرِ الثَّامِنِ.

وَقَد دُرِسَت فَجَواتُ الكَهْفِ وخَاصَّةً مَوْضِع دُخُولِ الشَّمْس إليه فتَبَيَّن أنَّ فَتْحَةَ الكَهْفِ الجنوبية كانَ اتِّجَاهُهَا جنوباً غربياً، فإذا وَقَفَ شخصٌ داخِلَ الكهفِ في وقتِ الأصيل تَزَاوَرَتِ الشَّمسُ عن الكَهْفِ ذات اليمينِ، ومَرَّت أشِعَّةُ الشَّمسِ بقُوَّتها أمَامَ الشَّخصِ الوَاقفِ تكْشِفُ المَرَاعِي والآفَاق.

وحِيْنَ تَتَوَسَّطُ الشَّمسُ السَّمَاءَ لا يَدْخُل الكهفَ منها شَيء، وإذا مَالَت نَحْوَ الغُرُوبِ دَخَلَ قسمٌ مِن أشعَّتِها فَجْوَةَ الكَهْفِ.

فما وَصَفَ به المكتَشِفُ الكهفَ هو الوَصْفُ الدَّقيقُ الَّذي جاءَ فيه القرآنُ الكريمُ، قالَ تَعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾

[الكهف: ١٧].

* * *

فِرْعَونُ مُوسَى

يا بُنَيَّ تَذْكُرُ الآيَاتُ القرآنِيَّةُ مُنْذُ أربعةَ عَشَرَ قَرْناً خُـرُوج مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلام مِن مِصْرَ، وعبوره البحْرَ مَع قَوْمِهِ هَرَباً مِـن فِرْعَون وَجُنُودِهِ الَّذين أطبقَت عَلَيـهم الميَـاهُ وأغْرقَتْـهُم وبقِيَـت جُثَّةُ فِرْعَون مَحْفُوظةً لتكُونَ عِبْرَةً للأجيَال ﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِـدِينَ ۝ فَـالْيَوْمَ نُنَجِّيـكَ بِبَدَنِـكَ لِتَكُونَ لِمَـنْ خَلْفَـكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس: ٩١- ٩٢].

والآن وفي عَـام (١٨٩٨م) تَحْدِيـداً وفي مَدِيْنَـةِ (طيبـة) بِوَادِي الملوكِ بِمِصْرَ اكتشَف العَالَم (لورت) مُوميَـاء الفِرْعَـون (منبتَاح ابن رَمْسِيس الثَّاني) وَوصفها في كتابه عام ١٩١٢.

وتَرقُدُ جُثَّةُ فرعَون اليَوم في قَاعَة المومياءات الملكِيَـة في المَتْحَفِ المصْرِي بِالقَاهِرَة، وبإمكانِ الزُّوار أن يَرَوْهَا.

وإعجازُ الآيات القُرآنيـة المعينـة يَتجَلَّىٰ أنَّـه في عَصْـرِ تَنْزِيل القرآنِ كَـانَت جُثَـثُ الفَراعِنَـةِ بِمَـا فِيْـهَا جُثَّـةُ (منبتـاح)

مَدْفُونَةً بِمقَابِرِ وَادِي المُلُوكِ (بطيبة) عَلىٰ الضِفَّةِ الغَرْبِيَّـةِ لِنَـهْرِ النِّيل أَمَامَ مَدِينَةِ الأقصر الحَالِيَّةِ. وفي ذَلِكَ العَصْر وَمُنْذُ أربعة عشر قرناً كانَ كلُّ شيء مجهولاً عَـن هَـذا الأمْـرِ ولَـم تُكْشَـف هَذِهِ الجُثَثُ إلاَّ في بِدَايَةِ القَـرْن الحَـالي عَلـىٰ أيـدي العُلَمَـاءِ الإنكْلِيْز.

وقد أظهَرَت الدِّرَاسَةُ نَتَائج هَذِهِ المكتَشَفَاتِ في المَتْحَفِ المَصْرِي، حَيْثُ أُعْلِنَت مُؤَخَّراً نَتَائج الفُحُوصَاتِ الَّتي أجْرَتْـهَا لِجَانٌ عِلْمِيَّـةٌ عَالَمِيَّـةٌ مُتَخَصِّصَـةٌ مَصْرِيَّـةٌ وَأوربيـةٌ وأمَرِيكِيَّـةٌ، فقـالت: إنَّ جَمِيْـعَ مُلُـوكِ الفَرَاعنَـةِ بَـدَأَت تَظْـهَرُ عَلَيْـهَا آثَـار التَّحَلُّل بِتَأْثِيْر أنْوَاع فريدة مِنَ البكتِرْيا (مَا عَدا جُثَّـة الفرعـون منبتاح) فِرْعَون موسىٰ..

* * *

نَصرُ الرُّوم علَى فَارس

قَالَ تَعَالىٰ: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِـي أَدْنَـىٰ الأَرْضِ وَهُـمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝ فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأَمْرُ مِـنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الروم:٢ـ٤].

والحادثُ باختِصَارٍ يـا بُنَـيَّ أَنَّ مَعْرِكَـةً قَـد حَدَثَـت بـينَ فَارسَ وَالرُّوم، فَحقَّقَ الجَيْـشُ الفَارِسِـيُّ نَصْـراً سَـاحِقاً بقيـادةِ (سَابور) علىٰ الـرُّوم واستَحَلُّوا أراضِيْــهِم وَحَـاصَرُوهُم في القُسْطَنْطِينِيَّةِ، وكَـانَ مِـنَ المَعْـرُوفِ أَنَّ الفُـرْسَ كَـانُوا مَجُوسـاً عبَّاداً للشَّمسِ والنَّار، وكَـانَ الرُّومـانُ أهـلَ كِتَـابٍ، فكَـانَ مِـنَ المُتَوَقَّع أن يَمِيْلَ المسلمونَ إلىٰ نَصْرِ الرُّومان كَمَا فَعَل مُشْرِكُو مَكَّة مَع الفُرْسِ، فَلَمَّا وَصَلَ خَبَرُ مُحَـاصَرَةِ الفُـرسِ للـرُّوم إلىٰ الجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ، شَمِتَ أهلُ مكَّـةَ بِالمُسْلِمِيْنَ، وَقَـالُوا انْتَصَـرَ إِخْوَانُنَـا عَلَـىٰ إِخْوَانِكُـم، فَضَـاقَ المسـلِمُونَ ذَرْعـاً وَنَزَلَـت الآيَاتُ.. وَمَا مَرَّت البضعُ السِّنين التي أشَارَ إليها القرآنُ حَتَّـىٰ تَحَوَّل النَّصرُ مِنَ الفُرْسِ إلىٰ الرُّوم وَصَدَقَ قَولُ القُرآن..

مَـعَ أنَّـهُ في ذلـك الوَقْـتِ الَّـذي تَكَلَّـمَ فيـه القُـرْآنُ بِـهَذِهِ النُّبُوءةِ، لَم تكُن آيَةُ نبوءةٍ أبْعَد مِنْهَا وُقُوعاً، لأنَّ السِّنينَ الاثنَتَي عَشـرَ الأولىٰ مِـن حكُومَــةِ (هِرَقْـلَ) كَـانَت تُخْـبِرُ بِانْتِـهَاءِ الإمبراطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ..»

وَتَحْمِلُ هَذِهِ الآيةُ أكثَرَ مِن إعْجَازٍ:

الأول: في المكَانِ «أدْنَـىٰ الأَرْض» أي مكَـان المَعْرَكَـةِ، وهِي مَعْرَكَة (مجدُّو) وقد حَصَلَت فِعْلاً في أخْفَضِ نُقْطَةٍ علـىٰ سَطْح الأَرْضِ، بجانِبِ البحرِ الميِّتِ.

الثَّاني: في الزَّمَان «بِضْع سِنِيْنَ» تَحْدِيدُ المدَّة، والبِضْـع أقلُّ مِن عَشَرَةٍ، فكَانَ النَّصْرُ بَعْدَ تِسْع سِنينَ تَقْرِيباً.

الثَّالث: مُوَافَقَةُ ذَلِكَ النَّصر للرُّوم بِنَصْرٍ للمُسْلِمينَ أيضـاً علىٰ المُشْرِكينَ، وكَـانَ كَذَلِـكَ كَمـا أخـبَرَ بِـهِ النَّبِـيُّ الصَّادقُ المَصدُوق. قَالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٣ ـ ٤].

* * *

فهرس